مِنْ بَلاغَةِ الرسم القرآني

أ . مصطفى شريقن
جامعة الأغواط

إنَّ أصل هذا المقال فكرة نشأت من تدبّر الرسم القرآني لبعض الكلمات حين تُكتب مَوصولة تارة ومفصولة أخرى حين تتبادل المواقع وهُنَّ نفس الكلمات لفظًا ومعنًى من مثل :

(مِن ما : مِمَّا) و (عن ما : عمّا) و (أن لا : ألاَّ) و (كي لا : كيلا) ... وهلم جرًّا.

وكذلك رسمُ التاء في بعض الأسماء المؤنثة؛ حيث تكتب مفتُوحة في بعض المواطن ومقبوضة في أخرى وهن نفس الكلمات.

فبدَا لي أنَّ هناك تناسُبًا ما، بين خصُوصية هذا الرَّسم وبين المعنى المُراد في ذاك الموقع الجديد . وتساءلتُ : ألاَ يمكن أن يكون فصْل الحرف أو وَصْلُه : يَحْمِل مَعْنًى عامًّا يناسبه الاتصال أو الانفصَال حَسَب ما يحيط بالعبارة من إيحاءات دلالية وإشعاعات مَعْنَوية.

كما يُمكِن أنْ يكون ربطُ التاء وقبضُها مُتَناغِمًا ومعاني التقييد والتخصيص والحصْرِ والتضييق. وفتحُ التاء وبسطها وإرْسَالها يتناسَبُ ومعاني الإطلاق والتعميم والتوسيع. فكانت هذه الفكرة مُلهِمة لهذا المقال .

وحاولت البحث عن جذور لهذه الفكرة في التراث، فألفيتُ مَن يفسّر زيادة الحرف في الكلمة القرآنية ويُحمِّله وظيفة دلالية فأَوْرَدْت نماذج ممَّا أوردَهُ ابن البنَّاء المراكشي (ت 721 هـ) دون أن أتبنَّى تخريجاته؛ وإنَّما ذكرتها كشاهدٍ على أصَالةِ الفكرة وان خالفتُه في التفسير والتوجيه .

تلك رؤية بلاغية للخط العربي، يُصبح فيها الرسم مِن القرائن التي تُوجّه المعنى أو تخصِّصه. ولعلّه في يوم مَا، يُدرَّس الخط في مباحث البلاغة حين تُؤصَّل هذه الفكرة ويتوسَّع في هذه الرؤية.

خُصُوصيَّةُ رَسْمِ المُصْحَفِ وأهميَّتُهُ

إن كثيرًا من الأقوال والأحكام في التُّراث العربيّ القديم تستوقفُ الدَّرسَ الحديث، وتمدُّه بما يجدِّدُ أنفاسَه، وتوجِّهه إلى آفاق تستشرفُ المستقبل، وكأنَّها ابنة العصر والسَّاعة.

فمن ذلكَ القول القديم المشهور: خطَّانِ لا يُقاس عليهما خطُّ المُصحف، وخطُّ تقطيع العروض[1] ، فقد مرَّتْ على هذا القول القُرون، وإذا بالعصر الحَديث يُطالعنا بدراساتٍ في علم الصَّوتيات تُعنى بعلاقة الصَّوت برسمه ورَمزه، وتقيس مَدى احتواء الرَّسم للصَّوت، ومدى تمثيلِه واستيعابه..فكانتْ الكتابةُ الصَّوتية، والكتابةُ الفونولوجيَّة، والكتابة العاديَّة.

وإنَّ الكتابة الصَّوتية لهيَ الكتابة العَروضيَّة في ثوبٍ جديدٍ، فبعدَ أنْ ظلَّتْ دُهورًا لا يُؤْبَهُ بها إلا في التَّقطيع العروضيّ، ولا وزنَ لها في ميدانِ

الإملاء وقواعدِه، أصبحتِ اليومَ محطَّ أنظار، ومحلَّ اختبارٍ في المجال الصَّوتيِّ الإفراديِّ والتَّركيبيّ..

أما الرَّسمُ القرآنيّ فشأنهُ أعظم، والحديثُ فيه أغربُ وأمْتَع، ولطالما كانتْ ألفاظُ القرآن ومَعانيه، وتناسب آياته ومبانيه حديثا عجبًا، تَحُوطه العظمة والإعجاز... غير أنَّ رسم القرآن وإملاءه لم يَحْظَ بتلك العناية، ولم يُلْتَفَتْ إلى جانب الإعجاز فيه، فبقِيَ مغمورًا مَسْتورًا، مع أنَّ الحديث عن القرآن لا تنقضي عجائبُه؛ وإنَّ الحديث عن إملاء القرآن هو حديثٌ عن جانبٍ من جوانب الكتابِ المَسْطور في الرّقّ المنشور الذي أقسمَ اللهُ به تنبيهًا إلى جوانب العظمة فيه، تعظيمًا لمقامِه، وتنبيهًا إلى ما ادُّخِرَ فيه.

فإذا كانَ القرآنُ مصدرَ إلهامِ العلماء المسلمين للابتكار العلميِّ والإبداع الفنيِّ، وباعثًا على التَّطوير والتَّجديد في شتَّى الميادين، فإن أقلَّ ما يفيدُنا رسمُ الكتاب العزيز بمخالفته لبعض قواعد الإملاء العاديّة، التنبيهُ إلى وجوب التَّأمُّل والتَّساؤل عن السِّرِّ الكامن وراءَ ذلك؟ فعلينا أن نتدبَّرَ ونُطيلَ التَّمعُّنَ لعلَّه يهمسُ في روعنا بعض أسراره التي قد تُسَاهم في تطوير العربيَّةِ في شَكلها أو مَضْمونها.

ولقد بلغَ بنا شديدُ الانشغال بهذا الجانبِ إلى أنَّ هناك سِرًّا مَا وراء كلِّ حرفٍ زيدَ في الرَّسم أو حُذِفَ.. وانَّ له صِلةً بمعاني الآيات، ولقد وقفتُ على بعضٍ منها وبقي جزءٌ منها غيرُ يسير تحت التَّأمُّل والتَّدبُّر ، وأفْضَى بنا في النِّهاية إلى أنَّ هناكَ وجهًا بلاغيًّا يَحمله مَرْسُومُ الذِّكْرِ

الحَكيم يُمْكِنُ أنْ يُسْتأنسَ به ويُتَّخَذَ نِبْراسًا لتطوير هذا الاتِّجاه في لُغَتِنَا العربيَّة وتَرْشِيده.

وقبلَ الإبانة والكشفِ عَمَّا بين الرَّسم والمعنى من صلاتٍ رأينا أن نَثبتَ أنَّ رسمَ المُصحف الشَّريف لا اجتهادَ فيه، وأنَّه مقصودٌ بذاته ولا يجوز التَّصرُّفُ فيه.. وأنَّه ليس من اجتهادِ الكَتَبَةِ وِفْقَ قواعد الرَّسْمِ في عهدهم؛ ذلك لأنَّ تلك الزِّياداتِ والحَذْفَ لا نلمسها في تدوينهم للمعلَّقات والخُطب والعقود وما إليها.. كما أنَّه غير ثابتٍ ولا أثرَ له في مُدَوَّنات الحديث الشَّريف على يَدَيْ بعض الصَّحابة كالصَّحيفة الصَّادقة.. وفي كتابة التَّابعين من بعدهم، ولم يُشِرْ إلى ذلك أحدٌ فيما نَعْلَمْ، فكلُّ الدَّلائل والقَرَائن تُشير إلى خصوصيَّةِ الرَّسْم القرآنيِّ بما يُناسبُ خصوصيَّةَ ألفاظهِ ومعانيه وتَسْمِيةِ نُصوصه وفُصوله، فخصوصيَّةُ القرآن تتجلَّى فيه نِسْبةً وَاسْمًا، تلاوةً ورَسْمًا، أسلوبًا ومعنًى.

وبالتأمُّل في مَرْسُوم الخطِّ القرآنيِّ من زيادة وحذفٍ، ووَصْلٍ وفصل، وقبضِ التَّاءِ وبَسْطها..قد ينفتحُ بابٌ من التَّفسير مبنيٌّ على رَسْمِ القرآن يقومُ به من أهل الذِّكْرِ النَّابهينَ .

هذا وإنْ كان ذلك التَّحليلُ والتَّفسيرُ ليس على وجه اليقين فإنَّه يُعتمدُ كمبدأ ومنطلق ومنهج، حَسْبُهُ أنَّه من أصلٍ قرآنيٍّ، يَتَوَخَّى استغلالَ الخطِّ في تعميقِ المعنى وتركيزه، وتدقيقه وتَخْصِيصه، بما تَوافرَ عليه من قرائن خطِّيَّةٍ تُضافُ إلى القرائنِ الأخرى المُتداولة.

أدلّةٌ علَى حُرمَةِ تغييرِ خَطِّ المُصحَفِ

وسُنحاولُ في هذا المقال أن نفصِّلَ ما أجْمَلْنا وإيضاحَ ما أبْهَمْنَا:

إذا نَظَرْنَا إلى الخطِّ القرآنيِّ والرَّسْمِ العُثمانيِّ وَجَدْنَاهُ يحملُ خصائصَ تُميِّزُه عمَّا عَدَاه من النُّصوص، ولذلك أَوْجَبُوا الالتزامَ به، حتَّى قال الإمامُ أحمد رحمه الله: **«تَحْرُمُ مُخَالفةُ خطِّ مصحف عثمان في ياءٍ أو واوٍ أو ألِفٍ أو غيرِ ذلك»**[2].

وأغلب الأئمَّة على عدم جوازِ التَّصرُّف في رَسْمِ المُصحف، فقد رُوِيَ عن أشهب أن الإمام مالك أفْتَى بعدم جَوَاز مُخَالفةِ خَطِّ المُصحف في شيءٍ من واوٍ أو ألفٍ[3].

وجاء في فقهِ الشَّافعيَّة في حواشي المنهج ما نصُّه: (كلمةُ الرِّبا تُكْتَبُ بالواو والألف -أيْ: الرِّبوا- كما جاءَ في الرَّسْمِ العثمانيِّ، ولا تُكتبُ في القرآن بالياء أو الألف؛ لأنَّ رسمه سُنَّةٌ مُتَّبعة)[4] ، وجاء في فقه الأحناف في المحيط البرهاني: (إنَّه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرَّسم العثماني)[5] ، وحُجَّتهم أنّ الرَّسم توقيفي، إذْ أشرفَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بنفسه حيث كان يوجّه كتبة الوحي ويراجعهم، فعن زيد بن ثابت قال: (كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ ... فكنت أدخل عليه بقطعة القتب أو كسرة فأكتب وهو يملي عليّ.. فإذا فرغت قال: (اقرأه) فإن كان فيه سَقْطٌ أقامَه، ثمّ أخرجُ به إلى الناس)[6].

وقيل إنَّه كان يقول ﷺ لمعاوية : (أَلِق الدواة وحرِّف القلم وانصب الباء، وفرّق السّين، ولا تُعوِّر الميم، وحسّن الله، ومدّ الرحمن، وجوّد

الرّحيم، وضع قلمك على أذنك اليُسرى، فإنّه أذكر لك)[7] ، ولهذا كان البيهقي يقول في شعب الإيمان: (من كتبَ مصحفًا فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها ولا يغير مما كتبوه شيئا، فإنهم أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم)[8] ، وقد عبَّرَ عن هذا محمَّد العاقب في نظمه: «كشفُ العَمَى والرَّين عن ناظري مصحف ذي النُّورين» :

رَسْمُ الكِتَابِ سُنَّةٌ مُتَّبَعَهْ ... كَمَا نَحَا أَهْلُ المَنَاحِي الأَرْبَعَه

لأَنَّهُ إِمَّا بِأَمْرِ المُصْطَفَى ... أَوْ بِاجْتِمَاعِ الرَّاشِدِينَ الخُلَفَا[9]

فلا يجوز التصرُّف في رسمه وإملائه وإنْ خالف قواعد الإملاء والكتابة.

وصُنِّفتْ في ذلك مؤلفات لتوجيه ما خالف قواعد الخط، لأنَّ هذا السلوك: » أوفق لصيانة القرآن، وحراسته عن التحريف، وألصق بثبوت أحكام الدين بكونه محفوظَ النظم والمعنى، مصون الرسم والمبنى»[10].

ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب: اعنوانُ الدليل في مرسوم خط التنزيل لأبي العباس الأزدي المرّاكشي المعروف بابن البنَّاء والمتوفّى (721 هـ)، بيَّنَ فيه أن اختلاف حال الأحرف في الخطّ بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها[11].

منكرو اتّباع خطّ المصحف

هذا وإن هناك من يرى لو أن القرآن كتب وفق الرسم القياسي الاصطلاحي الشائع المتداول تيسيرا لقراءة القرآن وتعليمه لعامة الناس. ومن بين هؤلاء أبو بكر الباقلاني، والشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي يرى أنّه: «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة، لئلا يُوقَعَ في تغييرٍ من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيءٌ أحكمته القدماء لا يُترك مراعاتُه لجهل الجاهلين»[12].

ومن أشدّهم إنكارا على من أوجب إتّباع رسم المصحف الإمام وليّ الدّين عبد الرّحمن ابن خلدون حيث يرى أن التشبّث بالرّسم الأوّل المنقول عن الصحابة، غفلة ليست من الحق في شيء فيقول: «ولا تَلْتفِتَنّ -في ذلك- إلى ما يزعمه بعض المغفّلين من أنهم كانوا مُحكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في: (لا أذبحنه) إنه تنبيه على أنَّ الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في: (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التّحكُّم المحض»[13]؛ وذلك أن ابن خلدون يعتقد أن خطوط الصحابة التي رسم بها المصحف كانت: «غيرَ مستحكمةٍ في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبرُّكا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ»[14].

وفي العصر الحديث نجد الدكتور صبحي الصّالح يظاهر هذا الرأي من خلال تعليقه على موقف القاضي أبي بكر الباقلاني في تسويغ كتابة المصحف بالرّسم المستحدث فيقول: «وإن رأي القاضي أبي بكر هذا لجدير أن يؤخذ به، وحجّته ظاهرة، ونظره بعيد، فهو لم يخلط بين الإجلال للسّلف، وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله»[15].

مُناقشةُ هذا الإنكارِ ودَفْعُهُ

إن نظرة هؤلاء تمليها النزعة الإصلاحية والميل إلى التيسير، وأنَّ الخط شكل ووسيلة للتبليغ، فأي ضير في أن يجتهد في رسم يحتوي الصوت احتواءً تامًّا حيث لا زيادة ولا نقصان وفق قواعد سهلة ميسورة خدمةً لكتاب الله تعالى، وتحقيقًا لمقصد من مقاصد الآية الكريمة

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر الآية: 17 و 22 و 32 و 40).

غير أنَّني أخالف رأي هؤلاء وأميل إلى القول بعدم التَّصرُّف في الرَّسم القرآني، مع التقدير لموقفهم وحمد غيرتهم وحسن نيتهم. وقناعتي بهذا الموقف تستند إلى عدة اعتبارات أهمها:

1- موقف أغلب الأئمة الأعلام من ذلك، ولقد أشرنا إلى بعضهم حيث أشاروا بعدم الجواز.

2- ثم إنَّ الله تكفَّل بحفظ الذكر الحكيم الذي أراه قرآنا يتلى وكتابا

يملى، فوجدناه اليوم محفوظا قراءة من الصدور، ورسما في السطور، تماما كما كان في زمان النبي ﷺ، فضلا عن إشارة القرآن إلى أنه سيكتب حين سَمَّاه كتابا في مواطن كثيرة، وفي فواتح السُّور: ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ.. ﴾ الكهف الآية: 1، وذلك باعتبارين:

ما كان.. وما سيكون، وصار الكتابُ عَلَمًا للقرآن بعد ذلك فيقال: **(الكتابُ والسُّنّة)**.

ومما يقوِّي هذا الظنّ اجتماع الأمة على ذلك الرسم والتزامه، وعدم اختراقه مع كثرة المحاولات لتجاهله والخروج عنه؛ مع ما يحمل الرَّسم القرآنيّ من مخالفات، في رسم بعض الكلمات، لقواعد الإملاء المتفق عليها، وعدم موافقة المرسوم -أحيانا- للمنطوق المرويّ المحفوظ بزيادة أو نقص؛ ومع كل ذلك لم يجرؤوا على تغييره وإخضاعه للمقروء المروي.. واكتفوا بالتسليم له من غير تعليل واضح، فدلّ هذا على أن ذلك من توفيق الله تعالى لسلف الأمة من الصحابة والتابعين إلى هذا الموقف الحصيف، وهو صورة من مظاهر الحفظ للقرآن رسما وتلاوة.

3- كما وجدنا بعض الذين أجازوا التصرف في رسم المصحف يتحفَّظونَ ولم يجيزوه على إطلاقه، فهذا العزّ بن عبد السلام يستدرك فيقول: « ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلاَّ يؤدِّيَ إلى دُروس العلم..» [16] ، بل إنَّ هناك احتمالاً كبيرا في أن العز بن عبد السلام يعدّ من المعارضين للتصرف في رسم المصحف؛ إذ يَجزُم بعضُ المحققين[17] أنَّه وقع تحريف فيما نقله الزركشي ونقله عنه الزرقاني في مناهل العرفان ونقله

عنهما صبحي الصالح ؛ وقع ذلك في قوله: «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ...» . قيل إنَّ الصحيح « إلاَّ » بدل «الآن» و بذلك يصبح قول العز بن عبد السلام بعد التعديل كما يأتي:

«لا تجوز كتابة المصحف إلاَّ على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة...»

وهو على خلاف المعنى الأول .

ومن هؤلاء المتحفظين من يرى أنْ تُكتبَ المصاحف بطريقتين: طريقة خاصة بعلماء الأمة على الرّسم العثماني، وطريقة عامة للناس وفق الاصطلاح الشائع..

ومنهم من اقترح أن يكتب المصحف بالرسم الأول على أن يعمد إلى الكلمات المخالفة للرسم المستحدث فتكتب في هامش المصحف وفق قواعد الإملاء المتداولة تيسيرًا لقراءتها.

4 – إشارات الحديث الشريف إلى أن التأمل في رسم المصحف له أجره فضلا عن القراءة كما أن للحروف وزنا في حساب الأجر..

5 – الالتزام بالمرسوم وعدم التصرف فيه احتياطا وتحفُّظًا، فلعلّ الأجيال اللاحقة تجد فيه ما خفي عن السابقين، فمن أبرز سمات القرآن التجدُّد، لا يخلق على كثرة الرّدّ، ولا تتقضي عجائبه.

ولعل من أقرب الشواهد على هذا، أنَّ الآية التي أشار إليها ابن خلدون من سورة النمل: ﴿ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الآية: 21. ومثيلتها في سورة التَّوبة: ﴿ وَلَأَاوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ الآية: 47، حيث زيدت الألف بعد

اللام في الآيتين.. ويعني هذا أن عدد الألفات في كل من السّورتين قد زيد بواحد، والعجيب أن ذلك وقع في سورتين لهما علاقة بالبسملة؛ إذ تفتقدها في مطلع السورة الأولى بينما تطالعنا في ثنايا السورة الثانية، وإن المسافة بين السورتين تقدَّر بعدد حروف البسملة تمامًا، وإنَّها لظاهرة تستوجبُ التأمل.

6 – إن ذلك الرسم الخاص مدعاة للتأمل في المعاني القرآنية والأسرار الربانية فلطالما وجدنا من استوقفته هذه الرُّسوم من الحروف.

7 – وإن الحكم بأن رسمه اصطلاحي لا يثبت ولا يسلم عند التأمل والتدبر، فكيف يكونون قد اصطلحوا على إثبات حروف لا تنطق مع وجود مثيلاتها منطوقة في ألفاظ بعينها؛ كزيادة الياء في: **(بأييد)** ولم تزد في: **(بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُومِنِينَ)** إذْ تكرَّرت لفظة: **(أَيْدٍ)** ستا وستين مرة في القرآن لم تُزَد الياء إلا في تلك المُشار إليها.

وكذلك حذف بعض الحروف في كلمات بعينها في موطن وإثباتها في موطن آخر، كإثبات الياء في: **(اخْشَوْنِي)** في البقرة، وحذفها: **(اخْشَوْنِ)** في المائدة في موضعين، وكتابة التاء مفتوحة وتارة مربوطة في ألفاظ معينة، فهل مثل هذا يُعدّ اصطلاحا إملائيا في زمانهم؟!

إن هذا الأمر مما يتعلق بالقرآن الذي تكفَّلَ الله بحفظه.. ويقيِّض له الكتبة الذين يرتضيهم فلا يترك رسم الكتاب همَلا يُكتب كيفما اتَّفق، تارة تكتب نعمة مربوطة، وتارة مفتوحة ليأتي بعد ذلك من يقول أن ذلك الرسم كان من قصور الكتبة في الإملاء، فهل من المعقول في شيء أن

يقال هذا في كتابٍ تولّى الله رعايته ورفع شأنه، وأقسم برسمه مسطورا في صحائفه الأولى: ﴿ وَالطُّورِ - وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ - فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾.

وكأني أيضا بالآيات الأولى التي نزلت تومئ إلى العناية بتدوين القرآن وكتابته حين جمعت بين القراءة والكتابة، وإنه سبحانه وحده الذي علم بالقلم: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ - الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾.

فشاء الله تعالى أن يصطفيَ لنسخ كتابه العزيز صفوةَ خير القرون دون سواهم من القرون الأولى فرسموه وإن لم يدركوا أسرار ذلك الرسم الذي اجتهدوا فيه و هُدُوا إليه .

وعليه فإن في القرآن في منطوقه ومرسومه من المعاني والحكم ما استأثر الله بعلمه من المتشابه؛ كالحروف المقطعة في فواتح السور، وكذلك تلك الحروف الزائدة في الرسم وما إليها مما خالف الرسم الإملائي الاصطلاحي، وإن حام المفسرون والعلماء حول ذلك.

8 – إنَّ الحكم على تلك المخالفات لقواعد الإملاء، بأنها ليست إلا قصورًا في علم الإملاء، حكمٌ ظني و كيف يصحُّ وقد ألفينا من يحوم حول أسرار هذه الظاهرة و يحاول الوصول إلى الحكمة الخفية وراءها .. فهذا الإمام الطاهر بن عاشور يقول: «ما كتبوا كلمتين متجاورتين بصورتين مختلفتين إلا لمقصد...»[18].

كما تَوَصّلَ بعض المتتبعين للرسم القرآني إلى تعليلات بعض المظاهر الخطّية وجعلوا لها قواعد منها :

أ) المخالفة بين بعض الألفاظ في الرسم إنما هو لتمييز بعضها عن بعض،

نحو كتابة (بأييد) بياء زائدة لدفع ما لا يُراد من اللفظ، أو هي إشارة إلى أنها مصدرٌ لامُه دَال و ليس جمعا لـ (يَد) التي لامها واو .

وكحذف الألف بعد واو الجمع في **(وعَتَوعُتُوًّا)** للتّمييز بين الفعل والمصدر حتى لا يُقرأ مكررًا للتأكيد .

ب) وكتبوا بعض الألفاظ المقصورة بصورة الياء مثل: متى و لدى وعيسى... إشارة إلى إمالتها في بعض القراءات واللهجات .

ج) وكُتبت بعض الكلمات بصورة توافق بعض القراءات المتواترة من مثل :

- كتابة **(أيَّهَ)** في ثلاثة مواقع لتوافق قراءة عبد الله بن عامر عن أبي الدرداء و عن عثمان رضي الله عنهما حيث تُضَمّ الهاء (أيُّهُ) .

- وكتبوا **(الغَدَوة)** بالواو لتوافق قراءة عبد الله بن عامر بالغُدْوَة كما أن الواو إشارة إلى أصل الألف في الغداة .

- وكتبوا (تُفَدُوهُمْ) بتقدير الألف لتوافق قراءة ابن كثير وبن عامر وأبي عمرو (تَفْدُوهُمْ).

د) وكتبوا التاء المربوطة مفتوحةً تارةً تنبيهًا على الوقف؛ إذ كتابة التاء هاء (مربوطة) تناسب الوقف، والمنقوطة (المفتوحة) تناسب الوصل وكأنّه تجويزٌ للوقوف عليها ووصلِها وهو تفنُّن رفيع وتصرُّف ذوقيّ لطيف .

فهذا كله يدل على أن مخالفة الرسم للمعهود ليست قصورًا ولا تقصيرًا وإنما لسبب وجيه هو التنبيه على أمر ما، يقول الأستاذ عبد الرحمن خليف عن بعض تلك المواضع الخفية في الرسم القرآني « ولم

يتبين لي من كل ذلك وجه واضح ويغلب على الظن أن كل ذلك لا يخلو من سبب وجيه»[19].

9 – وأخيرا فإن هذه الظاهرة الخطية في القرآن تلفت الانتباه إلى إمكانية استغلال الرسم في إعطاء ظلال للمعاني وأبعاد دلالية كما سنتبين الآن.

أبْعَادٌ دِلالِيَّةٌ للخطِّ القُرآنيِّ

يقول بدر الدين الزركشي: «إعلم أن الخط جرى على وجوه: فيها ما زيد عليه على اللفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظه، لحكم خفية، وأسرار بهية، تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء، في كتابه: (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، وبيّن أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها»[20].

ويراعى في الحكم على مخالفة الرسم، زيادة الحرف وإثباته أو نقصه وإسقاطه، ويتعلق جل ذلك بالأحرف الثلاثة: الألف والواو والياء، وسنشير إلى زيادتها أولا ثم إلى حذفها ثانيا.

زيادةُ الأحرفِ في الرَّسْم القرآنيِّ ودلالاتُ ذلك

زيادة الألف: قد تزاد في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في نهايتها، ولكل موضع أثره في المعنى، فقد أجمعت المصاحف على زيادة الألف في **(ولاَ أوْضَعُوا)** من التوبة الآية: 47، وفي **(لأَ اذْبَحَنَّهُ)** من سورة النمل

الآية: 21 ، قال الزجاج في تعليل زيادة الألف بعد لام الألف: »إنما وقعوا في ذلك لأن الفتحة في العبرانية وكثير من الألسنة تكتب ألفا«[21] ، ويقول الطاهر بن عاشور: » فما أراهم كتبوا ألفا بعد اللام ألف فيما كتبوها إلا لمقصد، ولعلهم أرادوا التنبيه على أن الهمزة مفتوحة وعلى أنها همزة قطع« [22].

ويستبعد الشيخ ابن عاشور أن تكون تلك الزيادات مجرَّد خشونة هجاء الأولين وعدم تهذيبه، وذلك لأنهم رضي الله عنهم: «ما كتبوا كلمتين متجاورتين بصورتين مختلفتين إلا لمقصد وهما: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ﴾ من سورة النمل الآية: 21، ولو كانت زيادة الألف لعدم تهذيب الرسم عندهم لزادوها في كل من الكلمتين المتجاورتين» [23].

قلت: إن الكلمتين المتجاورتين مختلفتان، فالأولى مضمومة الهمزة **(لأُ اعَذِّبَنَّهُ)**، وهمزة الثانية مفتوحة **(لأَ اذْبَحَنَّهُ)**.

كما أن اعتبار الألف دليلا على الفتحة قبله، أمر لا يسلم به، لأن رموز الحركات مستحدثة فيما بعد.. كما أن الألف بعد الفتحة تقرأ مدا وهو أمر معروف في الخط العربي القديم، حيث نجد ألف المد هذه مثبتة في المصحف الإمام، ويكاد لا يخلو منها سطر، وهي الألف الواردة في مثل: جاء -قال-لا-إياك..وهلم جرا.

ولو كانت الألف هنا تنبيها إلى أنَّ الهمزة مفتوحة فلم نفتقدها في مثيلاتها من المفردات؟! من مثل: لأقعدنَّ.. لأملأنَّ..لأحتنكنَّ.. لأكيدنَّ.. لأغلبنَّ

كما أن من زعم أن الألف في: **(لأاْذْبَحَنَّهُ)** زيدت تنبيها على أن الذبح لم يقع، نراه اعتمد دليلا واهيا يخالف المنطق من جانبين:

أولهما: أن منطق اللغة العربية يقضي ألا يجمع بين النقيضين النفي والتوكيد، فالفعل **أعذبنه** قد اقترنت به نون التوكيد الثقيلة فلا يصحُّ أن نقدر: **(لا)** النافية قبله.

وثانيهما: أن عدم وقوع الذبح مستفاد من سياق القصة وهو أمر ظاهر لا خفاء فِيه.. لا يحتاج إلى تنبيه.. وعليه فالأَوْلَى أن تحمل هذه الألف مهمَّة أخرى أنسب وأليق.

ولقد وجدنا من يحاول أن يربط بين زيادة الألف في الرسم وأثرها في المعنى ربطا مناسبا.. فزيادتها في الرسم تعني زيادة في المعنى ثم إن هذه الزيادة واقعة في أول اللفظ، توحي بزيادة المعنى في هذا اللفظ المتأخِّر على المعنى في اللفظ المتقدم في الجملة والعبارة، وكأنَّ زيادة الألف في أول اللفظ دلت على تقديم هذا المعنى على سابقه من حيث القوة والتأثير «فالذبح اشد من العذاب، والايضاع اشد إفسادا من زيادة الخبال» [24].

وتزاد في وسط الكلمة تنبيها إلى أن المعنى في نفس الكلمة ظاهر بارز واضح ففي قوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ الفجر الآية: 25 ، زيدت الألف دليلا على أن هذا المجيء في صورة من الظهور مخالفة للمعهود من المجيء حيث يتحقق معه ذلك البروز والظهور المشار إليه في الآيتين الكريمتين: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ الشعراء الآية: 91،

و﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ النازعات الآية: 36، وزيدت الألف في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ الكهف الآية: 24، تنبيهًا إلى وضوح هذا الشيء الخفيّ في عالم الأعيان الجلي في تقدير الأذهان،25 وهذا بخلاف الشيء المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ.. ﴾ النحل الآية: 40، » فإن الشيء هنا من جهة قول الله، لا يعلم كيف ذلك، بل نؤمن به تسليما لله سبحانه فيه، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها. ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا» [26] فلا سبيل للمقارنة ولا مجال للمشابهة.

حذفُ تلكَ الحروفِ في الرَّسْم ودِلالتها:

فكما أن لزيادة الحرف معنى فكذلك لحذفه معنى آخر، وسنجمل فيما يأتي بعض المقاصد التي تلوح وراء حذف هذه الحروف:

حذف الألف: للألف اعتباران في اللفظة من حيث وجود معناها:

1) اعتبار من جهةٍ ملكوتية علوية أو صفات حالية لا يدركها الحِسّ وعندها فإن الألف تحذف في الخط إشعارا بذلك.

2) اعتبار من جهة مِلْكية سفلية وحقيقية في الأذهان، فالألف تُثْبَت لهذا المعنى الظاهر الجلي كما حذفت للباطن الخفي.

تأمل هذين الاعتبارين في لفظتي: **(القرآن والكتاب)** في المصحف؛ إذ القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل قال تعالى في سورة هود:

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ الآية: 1، وقال في سورة فصلت: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ الآية: 3 ، وقال في سورة القيامة: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾ الآية: 17، ولهذا ثبتت في الخط ألف القرآن وحذفت ألف الكتاب.

وقد حذفت ألف القرآن في موضعين؛ هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار ففي سورة يوسف: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ سورة يوسف الآية: 1، وفي الزّخرف:

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ الآية: 3، والضمير في الموضعين يعود على الكتاب المذكور قبله، وقد ذيِّلت الآيتين بـ: ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ فالقرينة هنا من جهة المعقولية.

وكل ما في القرآن من لفظ: **(الكتاب)** فبغير ألف إلا في أربعة مواضع هي:

في سورة الرعد: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ الآية: 38، فهذا كتاب الآجال وهو أخصُّ من الكتاب المطلق أو المضاف إلى الله جل ذكره.

وفي سورة الحجر: ﴿ ..إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ الآية: 4، وهذا كتاب إهلاك القرى وهو أخص من كتاب الآجال.

وفي الكهف: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ الآية: 27، وهو أخص من الكِتَاب الذي ورد في سورة العنكبوت: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ

﴿ الْكِتَبِ ﴾ الآية: 45، لأنه أطلق هنا وقيِّدَ هناك بالإضافة.. والأخص أظهر، وفي سورة النمل: ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الآية: 01، فالكتاب في هذه الآية من سورة النمل جاء تابعا للقرآن.. كما جاء القرآن تابعا للكتاب في سورة الحجر: ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الآية: 1، فالكتاب في سورة النمل تفصيل للكتاب الكلي[27].

ومما يكاد يعدُّ قاعدة فيما يتعلق بحذف الألف وإثباتها.. أن الألف الزائدة في المفردات والجموع، إنما ترِد لمعنى مفصَّل يشتمل عليه معنى تلك اللفظة فتحذف الألف حيث يُبطَّن التفصيل، وتثبت حيث يظهر، فمن ذلك لفظة: **(جَالُوتَ)** وردت في بعض النسخ محذوفة الألف في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَلُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ البقرة الآية: 247، ذلك لأنه هنا الاسم الجامع للخصم، بينما أثبتت الألف بعدها في: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ البقرة الآية: 248 ، لأن جالوت الشخص بعينه، وكذلك قيل بالنسبة لـ:(الأبْواب) في قوله تعالى: ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَبَ ﴾ سورة يوسف الآية: 23. للتكثير والمبالغة.. وورد الجمع هنا محذوف الألف: **(الأبْوب)** ليدخل هنا ما ليس بمحسوس أيضا من أبواب الاعتصام، يدل على ذلك إفراد الباب المحسوس: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ سورة يوسف الآية: 25. ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ سورة يوسف الآية: 25.

أما سقوط الألف التي هي وصل لواو الجماعة في الفعل.. فإيذان باضمحلال الفعل وبطلانه.. وقد سقطت في الآيات الآتية:

- ﴿ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف الآية: 115.
- ﴿ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ سورة يوسف الآية: 16.
- ﴿ وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ سورة يوسف الآية: 18.
- ﴿ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ الفرقان الآية: 4.

فالمجيء في هذه الآيات كلّه باطل لأنه على وجه غير صحيح.. فأسقطت الألف، وكذلك سقطت في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ سبأ الآية: 5، إشارة إلى أنه سعي في الباطل لا يصح له ثبوت ولا رسوخ.

ومثل ذلك يقال في الآية الكريمة: ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ الفرقان الآية: 21. أسقطت الألف لأنه عُتُوّ على الله فهو باطل ساقط.

هذا وإنَّ هناك مَنْ علَّل حذف الألف في: (عَتَوْ) للتفريق بين المصدر والفعل لما تَجَاوَرَا وتشابها في الصورة الخطية.. حتى لا يتْلُوَ القاريء الكلمتين هكذا: عتوا عُتُوًّا كبيرا على وجه المبالغة[28].

كما سقطت الألف الزائدة المتصلة بهاء التنبيه في النداء بعد: (أيٌّ) على غير المعهود في رسم أَيُّها وذلك في ثلاثة مواضع هن:

1)- ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور الآية: 31.

2)- ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ الزخرف الآية: 48.

3)- ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ الرحمن الآية: 29.

والسر في ذلك هو «الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها» [29] ، ففي الآية الأولى استغراق للمؤمنين جميعا.. وفي الآية الثانية بلغ المنادى الغاية في السحر، ولهذا قال عنه فرعون: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ الشعراء الآية: 49، وفي الآية الثالثة أقام الصفة مقام الموصوف دليلا على عظم الصفة فإنها صفة جامعة30 ، قلت: لو أنه فسر الاستغراق في الآية الأولى بالإشارة إلى وجوب التوبة على جميع المؤمنين بلا استثناء، فعصاتهم مهما بلغوا: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ الزمر الآية: 50، وهداتهم مهما استقاموا فلا غنى لهم عن التوبة: **(كلُّ ابن آدمَ خطّاء وخيرُ الخطّائينَ التوّابون)** فالتوبة مفتاح القبول وعنوان المحبة، وفسر انتهاء الغاية في الآية الثانية بأن أتباع فرعون توالت عليهم المحن إلى أن بلغ الغم أقصاه، وضاقت عليهم السبل، فأظهروا الندم على ما فرط منهم وأعلنوا التوبة وسألوا موسى الدعاء ليفرج عنهم ما هم فيه من كرب شديد، فقد بلغ الأمر مداه.

وفي الآية الأخيرة استغراق لكل الخلق من العقلاء إنسهم وجنهم بأنهم سيمثلون جميعا للمحاسبة.

ويلاحظ أن ورود هذه الآيات في المصحف بهذا الترتيب ملائم لترتيبها في الواقع: فالتوبة أولا، فرفع الحرج وصرف البلاء ثانيا، ثم اجتماع الخلق وحشرهم للعرض والحساب ثالثا، والله أعلم.

حذف الياء: «قال أبو العباس: الياء الناقصة في الخط ضربان : ضرب

محذوف في الخط ثابت في التلاوة ، وضرب محذوف فيهما» [31] ، أما الضرب الأول هو حذف في الخط وتحقيق في التلاوة فباعتبار ملكوتي باطن وينقسم إلى قسمين:

1- ما هو ضمير للمتكلم

2- وما هو لام الكلمة

كحذفهما في قوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة الآية: 185.

فمن شواهد القسم الأول:

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ هود الآية: 46، فالمسؤول عنه غيب ملكوتي قد استأثر الله بعلمه وهو بخلاف: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف الآية: 69. لأنه سؤال عن سلوك وحوادث مشاهدة كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ سورة البقرة، الآية: 186 ، إشارة إلى إخلاص الدعاء وصفاء الباطن، فالإخلاص من أسرار الرحمن في خلقه.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ القمر الآيات: 16-18-21-30، ربَّما أثبتت في الأول لوقوع العذاب المشاهد للأبصار.. وحذفت من الثاني لاعتبار النذير بالأخبار والله أعلم.

﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الإسراء الآية: 62، حيث حذفت

الياء في: (أَخَّرْتَنِ) لأنَّه تأخير بالمؤاخذة لا التأخير الجسمي فهو بخلاف قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ المنافقون الآية: 11. لأن هذا تأخير جسمي في الدنيا[32]، وانظر إلى ما جاء على لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ القصص الآية: 21، فالهداية هنا إلى الطريق الحسِّي الذي يسلكه إلى مدين في عالم الملك بدليل قوله بعد ذلك: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ ﴾ وإلى ما أمر به محمد ﷺ: ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ الكهف الآية: 24، حيث حذفت فيه الياء لأن الهداية ملكوتية33.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ الزمر الآية: 11، وقوله: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾ الزمر الآية: 16، حذفت الياء لأن الخطاب للرسول ﷺ على الخصوص وإن كان موجها إلى العباد فإنهم غائبون حضورا وفهما إذ لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِي لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ الزخرف الآية: 68، حيث أثبتت الياء، لأنه خطاب لهم في الآخرة وهم غير محجوبين. جعلنا الله منهم.

وكذلك أثبتت في قوله: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾ العنكبوت الآية: 56 حيث نودوا بلا وساطة: قل، لأنهم نودوا بصفة الإيمان التي ترتقي بأهلها إلى مقام الإحسان الذي كله حضور ومشاهدة. والله أعلم.

كما أُثْبِتَتْ دلالةً على القرب والحضور أيضا في مجال الدعاء والتوبة والاستغفار، فلا حاجة للوساطة فيهما بين الله وعباده، فقد قال في شأن الدعاء والداعي: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (البقرة الآية: 185، وقال في أمر التوبة والاستغفار: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الزمر الآية: 50.

وسقطت الياء في موطن الدعاء: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ سورة نوح الآية: 30 ، «لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى لغيبتنا نحن عن الإدراك، وحذف حرف النداء، لأنه أقرب إلينا من أنفسنا. وأما قوله: ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ ﴾ الزخرف الآية: 88 ، فأثبت حرف النداء، لأنه دعا ربه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملك لقوله: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ »[34].

أما القسم الثاني وهو ما ياؤه لام للكلمة فمن شواهده:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الحج الآية: 52، ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ الروم الآية: 52، حذفت الياء تنبيها إلى أن معنى الكلمة يترقى فيه من الظاهر البادي للعيان إلى الباطن الخفي الذي لا يدرك إلا إيمانا وتصديقا وتسليما.. فالآية السابقة -من سورة الحج- الهدايةُ فيها عامةٌ شاملة، منطلقها من العالم المنظور ووجهتها الملكوت المستور، حيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،

وهذا بخلاف الآية الواردة في سورة النمل: ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ الآية: 83، لأنها هداية كلية تامة لا تَدَرُّجَ فيها بِدَلِيل قوله قبلها: ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ النمل الآية: 81.

مدُّ التّاء وقبْضِهَا:

لما كان الأصل في تاء التأنيث المتصلة بالفعل أن تمد، وفي المتصلة بالاسم أن تقبض جعل هذا الاعتبار أساسا في مد التاء وقبضها في الأسماء والصفات فإذا اتصلت التاء بلفظة مقتضاها الفعل والأمر، ملكية ظاهرة الأثر في الوجود فإنها تمد وتبسط لتناسب ذلك الظهور، أما إذا كانت اللفظة اسمية وصفية ذات صبغة ملكوتية باطنية، قبضت لتناسب هذا الخفاء، فمن ذلك الرحمة مدت في سبعة مواضع للعلة المذكورة:

1- ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف الآية: 56، فالتذكير للدلالة على الفعل.

2- ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ الروم الآية: 49، والأثر هو الفعل.

3- ﴿ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ سورة: البقرة، الآية: 216.

4- ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴾ سورة: هود، الآية: 73.

5- ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ سورة: مريم، الآية: 02.

6- ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ سورة: الزخرف، الآية: 31.

7- ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ سورة: الزخرف، الآية: 31.

ومنه: **(النِّعْمَة)** رسمت بالهاء إلا في أحد عشر35 موضعا فإنها مدت بها :

1- ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾(البقرة الآية: 229.

2- ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ آل عمران الآية: 103.

3- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ المائدة الآية: 12.

4- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ إبراهيم، الآية: 30.

5 - ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [36] سورة إبراهيم الآية: 36.

6 - ﴿ (وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ النحل الآية: 72.

7 - ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ النحل الآية: 83.

8 - ﴿ وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ النحل الآية: 114.

9 - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللّهِ ﴾ سورة لقمان الآية: 30.

10- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فاطر الآية: 3.

11- ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الطور الآية: 27.

والحكمة في هذه التاء ما ذكرناه، فالنعمة الواقعة بالفعل في الوجود تمد كقوله تعالى في سورة إبراهيم: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** لأنها نعمة قد حصلت بالفعل بدليل **﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** الآية: 36، بعدها.

فهذه نعمة متصلة بالظلوم الكفار، وهي بخلاف التي في سورة النحل: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** الآية: 18 ، فقد كتبت مقبوضة لأنها بمعنى الاسم بدليل تذييلها: **﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** النحل الآية: 18، فهي نعمة ملكوتية، منحة ربانية *.

ومدت تاء لفظة: **(جنة)** في موضع واحد فقط في قوله تعالى: **﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾** الواقعة الآية: 92، وذلك لأنها بمعنى فعل التنعُّم بالنَّعيم بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما من الجنة.

وكذلك مدت تاء: **(ابنة)** في قوله تعالى: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾** التحريم الآية: 12 ، مدت التاء في: **(ابنة)** هنا »تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة، ولم يُصَف في القرآن ولد إلى والد، ووصف به اسم الولد، إلا عيسى وأُمَّه عليهما السلام، لما اعتقد النصارى فيهما أنهما إلاهان، فنبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدوثهما بعد عدمهما، حتى أخبر تعالى في موطن بصفة الإضافة دون الموصوف وقال: **﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾** المؤمنون الآية: 51. لما غَلَوْا في الهيته أكثر من أمه، كما نبه تعالى على حاجتهما وتغير أحوالهما في الوجود،

يلحقهما ما يلحق البشر، قال الله تعالى: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ المائدة الآية: 77» [37].

ومن هذا الباب لفظ: (إمرأة) [38] ورد في القرآن إحدى عشرة مرة، مدت التاء في سبعة مواضع منها تتعلق بخمس من النساء هن:

1- امرأة عمران: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ آل عمران الآية: 35.

2- امرأة فرعون: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ القصص الآية: 8، ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ التحريم الآية: 11.

3- امرأة نوح: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ... ﴾التحريم الآية: 10.

4 - امرأة لوط: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ التحريم الآية:10.

5 - امرأة العزيز: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ سورة يوسف الآية: 30, (قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ (سورة يوسف الآية: 51 ، مدت في هذه المواطن تنبيها على فعل التبعُّل والمصاحبة والمخالطة في الموجود والمحسوس، أربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن، وواحدة خاصة واصلة لبعلها ظاهرا وباطنا، فجعل الله لها ذرية طيبة وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين، وواحدة انفصلت بباطنها عن

بعلها طاعة لرب العالمين وتوكلا عليه وخوفا منه فنجاها وأكرمها، واثنتان منهن انفصلتا كفرا بالله فأهلكهما الله ودمرهما ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله، كما لم تضر امرأة فرعون وصلتها الظاهرة بأخبث عبيد الله، وواحدة انفصلت عن بعلها بالباطن إتباعا للهوى وشهوة نفسها فلم تبلغ من ذلك مرادها مع القدرة والتمكن والكيد العظيم، كما لم يضر يوسف ما امتحن به، ونجاه الله من السجن، ومكن له في الأرض ورفعه درجات فهذه كلها عبر وقعت بالفعل في الوجود في شأن كل امرأة منهن فلذلك مدت تاءاتهن[39].

نكتفي بهذه النماذج التي عرضنا فيها أغلب ما ورد عن أبي العباس في الباب ونراها كافية لتوضيح الغرض الذي ترمي إليه. وإن بدا فيها بعض التكلف الظاهر -أحيانا- والتعسف البيّن - والمجتهد لا يعدم أجره- فإن فيها ما ينبئ عن حسن تدبر ورهافة حس وعمق نظر.. تدبر يستنطق الحروف ويكشف الرموز ويستظهر الكوامن والأسرار المستورة وراءها، وليس يعنينا هنا صحة الأحكام والتخريجات بقدر الاهتداء إلى تلك الفكرة النورانية التي هي وليدة التدبر في الرسم القرآني، وإن هذه الفكرة لكفيلة أن تحملنا على توظيف الخط في المجال التعبيري والدلالي.. فنعمل على تحميل رسوم الخط، وصور الحرف طاقات معنوية، كأن يفرق بين صورة للحرف وصورة أخرى له في الاستعمال، كرسم الياء في آخر الكلمة بهذا الشكل: **(ي)** تارة، وبالشكل (ـے) تارة أخرى، لأداء وظيفة معنوية، وكذلك يفرق بين صورتي الكاف: **(ـكـ)** و**(ك)** في آخر

الكلمة وهلم جرا.. إذْ يمكن أن تستغل الخطوط العربية في أن يزاوج بينها إثراء للعملية التعبيرية.

فما المانع من ذلك؟! وقد استغلت الإمالة في هذا الأمر في وقت مبكر، مع أن الإمالة صورة صوتية للهجة عربية لا تحمل قيمة دلالية. ومع ذلك حملت وظيفة دلالية معنوية فقد ثبت في قراءة لأبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ الإسراء الآية: 72، أنَّه أمال الألف في لفظة: **(أَعْمَى)** الأولى دون الثانية، فما سر هذا التغاير؟! لا شك أنه ملفت للانتباه: للسمع والبصر معا.

إن سر ذلك هو التنبيه إلى الاختلاف في المعنى بين اللفظين وإن اتفقا في الظاهر. فـ: أعمى الأولى يقصد بها الوصف ليس إلا .. بينما الثانية يقصد منها التفضيل بمعنى » فهو في الآخرة أشدُّ عَمًى» [40].

بل إنَّ الرسم القرآني يخالف أحيانا بين رسمي الكلمة الواحدة في موضعين مختلفين فرب لفظة وصلت هنا فصلت هناك، فقد كتبت **(مِنْ مَا)** موصولة هكذا: **(مِمَّا)** في كل القرآن ما عدا ثلاثة مواضع فصلت فيهن، كقوله تعالى في النساء: ﴿ **فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ الآية: 25.

وكتب: **(فِي مَا)** موصولا في المصحف هكذا: **(فِيمَا)** إلا في ثمانية مواضع كقوله جل جلاله في البقرة: ﴿ **فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ** ﴾ الآية: 238.

ورسمت: **(لِكَيْ لاَ)** مقطوعة في كل القرآن إلا ثلاثة مواضع وصلت فيها كقوله تعالى في الحج: ﴿**لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾ الآية: 05.

وكتبت: **(عَمَّا)** موصولة في كل القرآن ما عدا قوله تعالى في الأعراف: ﴿ **فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ الآية: 166 ، وتأمل مثل ذلك من وصل وفصل في: بئس ما – أين ما – إن لم – أن لم – أم من – أن لا[41].

وبعد هذا يجدر التنبيه إلى وجوب مراعاة التناسب بين شكل الحرف والمعنى العام المقترح للرمز، كالذي لمحناه في النماذج السالفة فيراعى في رسم التاء – مثلا – معنى القبض والبسط. وفي رسم الكاف العادية: **(كـ)** معنى الإفراد، و معنى التضعيف في الكاف المزدوجة التي تكتب هكذا ك في آخر الكلمة فتكون هذه الكاف أوكَدَ من الأولى لوجود صورة كاف صغرى في جوفها توحي بالتعدد والمبالغة.

ويُراعى معنى الوصل والفصل في رسم بعض الحروف والأسماء حين تلاحظ المغايرة بين الرسمين للكلمة الواحدة في السورة الواحدة؛ ففي سورة البقرة نلاحظ هذه المخالفة الخطية مع تجاور النصين الكريمين وشدة تشابههما، فكلاهما يتناول أمر المتوفى عنها زوجها فتأملهما:

1- ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ البقرة الآية: 232.

2- ﴿ **فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ** ﴾ البقرة الآية:238.

فلماذا وُصِلَتْ: **(فِيمَا)** رسما في الآية الأولى وفصلت في الآية الثانية ؟!، إن هذا يلفت الانتباه إلى الفروق المعنوية الكامنة وراء هذا التنويع في الرسم، ولولاه ما استوقفتنا معاني الاتصال في الآية الأولى ومعاني الانفصال في الثانية. لا شك أن وصل اللفظة في الآية مناسب للمعاني التي تكتنفها من بين يديها ومن خلفها، كما أن فصلها مناسب أيضا لمعاني الآية الثانية فمن ذلك أن:

أ - إذا الشرطية في الآية الأولى تفيد تحقق وقوع الشرط وتلك صلة ثابتة بين الشرط وجوابه بخلاف إنْ الشرطية في الآية الثانية فليست بواجبة الوقوع فقد لا يثبت وقوع جوابها لارتباطه بالشرط المعلق.

ب- الباء الجارة في: **(بِالْمَعْرُوفِ)** في الآية الأولى مناسبة جدا لمعاني الاتصال والمصاحبة والملاصقة كما أن: الباء نفسها تتصل بالكلمة خطا فضلا عن اتصالها بمعرَّف بـ: **(أل)**، وهو معنى يقوِّي الاتصال والتقارب بخلاف: **(مِن مَّعْرُوفٍ)** في الآية الثانية حيث التجزئة والتبعيض والتنكير وهي معاني تدعم الانفصال والتباعد..

ج- الآية الأولى محكمة متمكنة راسخة حتى قال كثير من العلماء: أنها ناسخة للآية الثانية، ولا يخفى ما في النسخ من معاني الفصل والوصل.

د- رفع الجُنَاح المتعلق بـ: ﴿ **فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ** ﴾ في الآية الأولى مرتبط بتمام العدة بأيامها وبلوغ الكتاب أجله؛ بينما في الثانية متعلق بالخروج والانفصال.

وفي الأحزاب: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ الآية: 37، ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الآية: 50 ، نلاحظ اختلاف الآيتين في رسم: **(لِكَيْ لَا)**، فما سر هذا التغاير الملحوظ في رسم اللفظ الواحد؟

لا شك أن ذلك اقتضاه المقام حيث يشعرك هذا التغاير بتباين المقامين، مقام المؤمنين هنا، ومقام النبوة هناك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن رفع الحرج ودفع الضيق في الآيتين مختلف، حيث يتمثل في الآية الأولى في استئصال عادة متمكنة من النفوس راسخة في العقول[42].. وتلك العملية صورة من صور الانفصال والاقتلاع، فما أنسب أن يكون رسم اللفظة يحمل هذا الانفصال!

بينما في الآية الثانية يتمثل دفع الحرج في المنحة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون سائر المؤمنين حباه الله بها[43] والتي يناسبها الاتصال من حيث هي صلة الالهية.

ومما يستأنس به في مناسبة الأثر الخطي للإيحاء المعنوي أنّ ظاهرة الشرك بالله ملحوظ فيها الانفصال ظاهر؛ إذ هو فساد العقيدة وانحلال عقدتها وانفكاك عراها، وقد لمسنا ذلك في آية من سورة الروم في لفظين منها وردا منفصلين، على كثرة ورودهما متصلين في القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الرُّوم الآية: 27، ولما كان الفصل يناسب الحديث عن الفصل في الحكم بين الخصوم المختلفين فصلت: (فِيمَا) خطًّا في قوله تعالى من سورة الزمر:

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الآية: 3.
- ﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الآية: 43.

لكنها وُصِلتْ في سورة البقرة مع أنها في سياق الحديث عن الفصل في الخصام والاختلاف بين الناس: ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الآية: 112، فما علة هذا التدابر والتناقض الظاهري؟!

حتى لا يعد هذا من باب التناقض يجب الانتباه إلى الحيثيات التي تكتنف النصوص وإن بدت متطابقة، ذلك أن الفصْلَ في الحكم في آيتي الزمر فصَلَ بين أهل الحق والباطل؛ بينما في البقرة نجد الحكم في الاختلاف بين اليهود والنصارى والذين لا يعلمون، يؤُول الفصلُ فيه إلى حكم واحد جامع بينهم هو ضلالهم وزيغهم جميعا فالكفر ملّة واحدة، ومصير هؤلاء واحد، فقد تماثلت الأقوال في الجوهر وإن اختلفت في الظاهر: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ البقرة الآية: 112؛ وهكذا فمن رام سلوك هذا السبيل وجد نفسه على نهج لاحب متلئبّ، يسبر أغواره ويستظهر أسراره ويقطف ثماره.

ليس هذا الفصل دعوة إلى اعتماد رسم القرآن وإملائه - كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان- فتلك خصوصية حَبَا الله بها كتابه؛ فلا يكاد يقع بصرك على نص ما، إلا وتسبق إليك نسبته: أقرآنٌ هو أم لا؟ قبل

التمكن من قراءته، وقد أضحى الرسم فيه سنة متبعة، وإن خالف الرسم المعهود؛ حتى قال ابن درستويه: «خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف والعروض» [34] ، ولكنه دعوة حثيثة إلى الاهتداء بمنهج القرآن في الرسم حين يغاير في رسم اللفظة الواحدة لوقوعها في مقامين مختلفين ككتابة: **(لَدَى)** بالياء في كل القرآن ما عدا: **(لَدَا البَابِ)** في سورة يوسف، رسمت بالألف، ووصل النون المدغمة خطا في موطن، وفصلها في آخر، مما يؤكد أن الأمر ليس راجعا إلى قواعد الإملاء في عصر الصحابة فحسب؛ وإنما هناك دواع أخرى ملحة، على رأسها المعنى، مما أوجب تتبع الظاهرة للتمكن من المنهج وضبط معالمه، وشواهد هذا الفصل جميعها، تيمم شطر هذه الغاية.

وهذا لا يمنع أن يحتكم إلى القرآن - أيضا- في شأن رسم بعض الكلمات في وصلها وفصلها أو شكل رسمها نحو: **(باسم الله الرحمان)**، وفصل النون ووصلها إدغاما في الخط.. ولقد لاحظ ابن الضائع أنَّ: **(أنْ)** الناصبة للفعل المضارع شديدة الاتصال به؛ بحيث لا يجوز أن يفصل بينهما، أما أنْ المخففة فبالعكس، بحيث لا يجوز أن تتصل به في الخط، »فحَسُنَ الوصل في تلك، والفصل في هذه خطًّا » [45] ، وهذا رأي حسن جدير أن يتبنى في قواعد الرسم والإملاء، وما خولفت هذه القاعدة في القرآن إلا نادرا [46] في مثل قوله عز وجل: ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ القيامة الآية : 03 ؛ إذ كان من المنتظر أن تفصل نونها؛ لأنها المخففة وليست الناصبة، وهذا الخروج نعتبره ذا غرض بلاغي.

وكذلك إلى يومنا هذا نجد إثبات النون وحذفها في: **(إذَنْ) (إذًا)** لم يحسم أمره، مع أن عرض حال القضية فيها قديم ؛ فقد حكى أبو جعفر النحاس قال: »سمعت علي بن سليمان يقول: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول: اشتهي أن أكوي يدَ من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل: أن، ولن، ولا يدخل التنوين في الحرف» [47] ويعلق السيوطي: » قلت: وممن صحح كتابتها بالنون الزنجاني في شرح الهادي» [48] ، بينما يقول ابن قتيبة: « وأحبُّ إلي أن تكتب بالألف على كل حال» [49] ، ولعله أحبَّ ذلك لموافقته رسم المصحف؛ إذ كتبت: **(إذًا)** بالألف حيثما وردت فيه، ولقد أنصفَ الفَرَّاءُ حين قال: ينبغي لمن نصب بإذن الفعل المستقبل أن يكتبها بالنون؛ فإذا توسطت الكلام، وكانت لغوا، كتبت بالألف» [50].

ولقد وجدتُ أنَّه لم يقع في القرآن بعد: **(إذًا)** فعلٌ مضارع إلا في ثلاث آيات -فيما أحصيت- هنَّ:

- ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ النساء الآية: 53.

- ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء الآية: 76.

- ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب الآية 16.

وحتى في هذه لم تعمل: **(إذَنْ)** في الفعل المضارع بعدها، ولعله مناطُ

حذف النون وعِلَّتُه، وإهمال إذن في هذه النماذج كإعمالها، وعليه وردت قراءة لعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس بإعمال إذن في تلك الآيات[51] ، غير أنه ، كما يقول أبو حيان: » والأفصح إلغاء إذن بعد حرف العطف، الواو والفاء وعليه أكثر القراء» [52] ، وليته اعتمِد قولُ الفراء فيستراح من قضية نون: **(إذَنْ)**.

وأحب أن أنبه هنا إلى أنني تركت ظاهرة حذف نون كان المجزومة، مع أنني بصدد الحديث عن الرسم القرآني؛ لأنني أراها لا علاقة لها به لحذفها نطقا.

وختامًا فكل تلك الآراء والأنظار التي وردت في هذا المقال تعلن جهرةً وسفورًا أن في رسم المصحف أسرارا وحكما خفية، وليس من الحكمة والحصافة والحزم أن نطمس معالمها بذريعة تحسين الخط وتطويره ليماشي العصر، ونُعَفيَ آثارها على من يأتي بعدنا ممن علَّمه الله ووفَّقه إلى تفسير بعض أسرار الكتاب الكريم.

الهوامش :

1 – القول منسوب لابن درستويه، أنظر: البرهان في علوم القرآن– الزركشي، ج:1 ، ص: 376.

2 – إيقاظ الأعلام لوجوب إتباع رسم المصحف الإمام/ تأليف الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي / مكتبة المعرفة / حمص سوريا / الطبعة الثانية 1972 م / صفحة :15. وانظر أيضا /البرهان في علوم القرآن للزركشي / ج 1 / صفحة : 379.

3 – الزركشي: 1/ 379.

4 – رسم المصحف و الإعجاز العددي: ص: 43

5 – المرجع السابق : ص: 43.

6 – رواه الطبراني في المعجم الكبير، أنظر: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاح، د.شعبان محمد إسماعيل، دار الثقافة، الدوحة، 1992, ص: 52. وانظر: رسم المصحف والإعجاز، ص: 34.

7 – أنظر: رسم المصحف والإعجاز ص: 42, وانظر: مناهل العرفان للزرقاني: 1/ 317.

8 – البرهان للزركشي: 1/379. وانظر: مناهل العرفان: 1/319 .

9 – إيقاظ الأعلام / صفحة : 16.

10 – نفس المرجع / صفحة : 23.

11 – المرجع السابق / صفحة : 18 وانظر البرهان /ج 1 / صفحة : 380.

12 – البرهان / ج 1 / صفحة : 379.

13 – مقدمة ابن خلدون / صفحة : 748/ الطبعة الثانية سنة : 1979. دار الكتاب اللبناني بيروت .

14 – نفس المصدر/ 747.

15 – مباحث في علوم القرآن / الدكتور صبحي الصالح / صفحة : 279. أنظر أيضا بحث « طريقة رسم القرآن الكريم » للسيد عبد الرحمان خليف / صفحة : 11.

16 – البرهان في علوم القران / ج 1 / صفحة : 379.

17 – الذين حققوا البرهان في علوم القرآن للزركشي هم : يوسف مرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي. أنظر هذا المصدر الجزء الثاني، دار المعرفة لبنان ، 1994 ، صفحة: 14.

18 – التحرير والتنوير: 10 / 217.

19 – من بحث ألقي في الملتقى الخامس عشر للفكر الإسلامي في الجزائر، بتاريخ ذو القعدة 1401 هـ الموافق لسبتمبر1981م للأستاذ عبد الرحمن خليف بعنوان: طريقة رسم القرآن الكريم ، ص 10 .

20 – المصدر نفسه / ج 1 / صفحة : 380.

21 – تفسير التحرير والتنوير / ج 10 / صفحة : 217 / الدار التونسية للنشر / ط 1984 م.

22 - المصدر نفسه.

23 - طريقة رسم القرآن الكريم / صفحة : 04.

24 - البرهان / ج1 / صفحة : 381.

25 - ومع شدة هذا الوضوح الذي قد يبلغ اليقين كما في الآية.. فلا يجوز الوثوق به إلا بتفويض المشيئة إليه سبحانه.

26 - البرهان / ج1/ صفحة : 385.

27 - المصدر السابق / ج 1 / صفحة : 390 .

28 - طريقة رسم القرآن الكريم. صفحة: 6.

29 - البرهان / ج1 / صفحة: 396.

30 - المصدر نفسه / ج 1 / صفحة: 396.

31 - المصدر السابق / ج 1 / صفحة : 399 .

32 - المصدر السابق / ج 1 / صفحة : 400 .

33 - نفس المصدر .

34 - المصدر السابق/ ج 1 / صفحة : 405 .

35 - وردت لفظة « نعمة » في القرآن الكريم 35 مرة ، ستٌ منها في سورة النحل.الآيات : (18-53-71-72-83-114) .

36 - بينما التي في النحل الآية : 18 ، رسمت مقبوضة .

* - يذكر معجم الألفاظ القرآن الكريم أن النعمة يراد بها المفرد .

37 - البرهان / ج1/صفحة: 415 و 416.

38 - قبضت تاؤها في: النساء / 12و128- النمل / 23- الأحزاب / 50.

39 - البرهان / ج1 / صفحة: 416.

40 - اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي / الدكتور عبد الصبور شاهين / صفحة : 113.

41 - انظر غرائب القرآن / ج1 / صفحة : 33 و 34.

42 - وهي نبذ الزواج بحليلة الدعي إذا طلقت ، لأن الدعي في زعمهم تبوأ منزله الابن في كل شيء حتى الميراث وحرمة النسب.

43 - وهي إباحة الزواج للنبي ﷺ بمن وهبت نفسها له بدون مهر وهذه الإباحة خاصة له من دون المؤمنين.

44 - همع الهوامع / السيوطي / ج 6 / صفحة : 341 .

45 - المصدر السابق / ج 6 / صفحة : 322 .

46 – فانظر إن شئت الآيات :

- ﴿فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك﴾
- ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ البلد الآية : 05
- ﴿ أيحسب أن لم يره أحد﴾ البلد الآية : 07

47 – همع الهوامع / ج 6 / صفحة : 307 .

48 – نفس المصدر.

49 – أدب الكاتب / صفحة : 202 .

50 – نفس المصدر.

51 – انظر البحر المحيط / 3 / صفحة : 677 وغرائب القرآن / ج 5 / صفحة : 58 .

52 – نفس المصدر.

المصادر والمراجع :

1. الإتقان في علوم القرآن،)د. ط (، دار الفكر -بيروت- السيوطي.
2. اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1987م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
3. أدب الكاتب، ابن قتيبة، ت: محمد يحي محي الدين عبد الحميد، ط: 4، 1382هـ، 1963م، دار الجيل، م: السعادة بمصر.
4. إيقاظ الأعلام لوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، تأليف الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، مكتبة المعرفة -حمص- سوريا- ط: 2, 1972م.
5. البحر المحيط لأبي حيان بعناية الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر، لبنان ، طبعة 1992م.
6. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة -بيروت- لبنان- (بدون ط).
7. تفسير التحرير والتنوير، العلامة الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر -تونس- 1984م.
8. رسم المصحف و الإعجاز العددي للدكتور أشرف عبد الرزاق قطنه ، الطبعة الأولى 1999م، منار النشر و التوزيع ، دمشق .
9. رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاح، د.شعبان محمد إسماعيل، دار الثقافة، الدوحة، 1992.

10. طريقة رسم القرآن الكريم، عبد الرحمان خليف. بحث ألقي ضمن محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الخامس العشر 1401هـ-1981م بالجزائر.

11. غرائب القرآن، نظام الدين القمي النيسابوري تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى 1962م.

12. مباحث في علوم القرآن، د.صبحي الصالح، ط : 2، دار الكتاب العربي

13. مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني -بيروت- الطبعة الثانية، 1979م.

14. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 1، 1996م.

15. همع الهوامع، السيوطي، تحقيق وشرح: د.عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.